المحاضرة -13

أدوات البحث الأنثروبولوجي

1- الملاحظة بالمشاركة:

تعتبر الملاحظة بالمشاركة الوسيلة الأساسية في العمل الحقلي، وكثيرا ما يعول عليها الباحث في اختيار البيانات التي يستخلصها بواسطة بعض الوسائل الأخرى، وهي ليست عملية ميسرة بل يمكن أن تتعرض للقصور بتأثير الأفكار المسبقة لدى الباحث، أو اتجاهاته الخاصة بالنسبة لرؤيته للآخرين، أو ميله إلى إضفاء تأويلات متسرعة على كل ما يلاحظ، أو عدم اهتمامه بالربط بين ما يلاحظ وبين السياقات المكانية والزمانية التي يتم في إطارها. ويعود الفضل في تطوير أداة الملاحظة بالمشاركة في البحث الأنثروبولوجي الى الأنثروبولوجي مالينوفسكي، فارتقى بها من أداة الى مستوى أن أصبح ينظر اليها على أنها منهج، خصوصا لما خاض تجربة البحث الميداني ما بين 1914 إلى 1918لمدة عامين بجزيرة تروبرياند شمال غينيا.

وهناك من الباحثين من ينظر للملاحظة بالمشاركة على أنها الطريقة التي يتبعها الباحث الأنثربولوجي، وذلك من خلال القيام والمشاركة بالأعمال التي تقوم بها الجماعة المدروسة، بغية التقرب منها والحصول على ودها، ومن ثمة إمكانية الوصول إلى أدق التفاصيل المتعلقة بالجماعة المدروسة، وغالبا ما يشترك الباحث في ممارسة مختلف الطقوس الدينية والاجتماعية، أو بعض المناشط الصناعية والحرفية، أو الزراعية... سواء أكانت فردية أم جماعية.(1)

2- المقابلة :

يمكننا تعريف المقابلة:" ... كما تستخدم في البحث الاجتماعي بأنها المحادثة التي يبدأ بها الباحث، أو القائم بالمقابلة لغرض الحصول على بيانات مهمة للبحث. ويعرفها باحثون آخرون بأنها الحصول على بيانات عن طريق المحادثة التي يقوم بها القائم بالمقابلة مع شخص أو أشخاص آخرين لغرض البحث أو للمساعدة في التشخيص أو العلاج الاجتماعي، والمقابلة تختلف عن المحادثة الاعتيادية التي تجري بين الناس، من ناحية كونها مخطط لها لكي تنجز أو تحقق غرض معين."[(2)]

إن الدافع لاستخدام المقابلة، أثناء إجراء البحث الأنثروبولوجي الميداني، هو السعي لمعرفة وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة، وأسلوبهم المتميز في النظر للأشياء والكائنات، ولن يتأتى هذا إلا باستخدام طريقة الحوار، والمقابلة كما

---

(1)- كلوكهون، كلايد : الإنسان في المرآة، ترجمة سليم شاكر، بغداد، 1964.

2 – إحسان محمد الحسن وآخر: طرق البحث الاجتماعي، دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل.

تمت الاشارة أنواع: فهناك مقابلة موجهة ومقابلة غير موجهة، وينصح المختصين في مجال الأنثربولوجيا باعتماد النوع الثاني من المقابلة، وذلك لأنه يعطي الحرية الكاملة والارتياح النفسي للشخص الذي تجرى معه المقابلة (المبحوث) للإدلاء بآرائه حول الموضوعات المستفسر عنها.

3- الإخباريون:

الإخباريون هم الأشخاص العارفون بـ " النشاط "، أو " الحدث "، أو " القضية " موضوع البحث، بمعنى أن الباحث الأنثربولوجي، إذا أراد مثلا أن يقوم بجمع مادة علمية حول " التنشئة الاجتماعية للأبناء " فعليه في هذه الحالة أن يسأل الآباء عن أساليب تعاملهم مع الأبناء من الجنسين من حيث التوجه والمراقبة والنصح والعقاب والتدريب ...الخ، كما أن عليه أن يسأل أيضا المشتغلين بالتربية والتعليم والتقويم ويسأل الأجداد حول رؤيتهم لطرق التربية المعاصرة، كما يسأل الأبناء في رؤيتهم للمعاملة التي يلقونها داخل الأسرة.[3]

وتحديد فئة الإخباريين من قبل الباحث، يرجع بدرجة كبيرة، إلى نوعية الدراسة أو البحث، فإذا كانت الدراسة حول ظاهرة التراعات والصراعات بالطرق العرفية، فالباحث في هذه الحالة يتصل برؤساء القبائل والأعيان، والأفراد العارفون الذي يعود إليهم في فضل النزاعات والخصومات الأهلية، ولابد على الباحث الأنثربولوجي أن يعمق صلاته بفئة الإخباريين ويا حبذا الوصول معهم إلى درجة الألفة والثقة، وكي يحصل منهم على المعلومات المفيدة، والكافية، التي تخص موضوع البحث أو الدراسة، ويمكن للباحث لتعميق الصلة بالإخباريين أن يقدم لهم بعض الهدايا أو الخدمات، دون أن يجعل ذلك ثمنا أو مقابلا للمعلومات التي تقدم له.

4- الوثائق والسجلات:

يمكننا القول أن السجلات والوثائق هي إحدى الأدوات والمصادر، التي تزود الباحث بالمعلومات والمعطيات اللازمة، أثناء انجاز الأبحاث والدراسات، ، وتساعد الوثائق في الحصول على معطيات ومعلومات هامة يتم استخدامها في مراحل مختلفة من البحث، كالإحصائيات المتعلقة بمجتمع البحث، إضافة إلى الحصول على قوائم اسمية، أو شجرة النسب والانتماء، أو بعض الإحصائيات الديموغرافية الهامة.... وكان علماء الأنثروبولوجيا قد أولوا عناية بالوثائق التاريخية المكتوبة أو المنقوشة واعتمادهم عليها راجع الى محاولتهم الوصول الى القواعد العامة لتطور النظم.

5- الوسائل التكنولوجية الحديثة:

لقد قدمت الوسائل التكنولوجية الحديثة، كآلات التصوير، والتسجيل الصوتي، وآلة الكاميرا الكثير من الفوائد، فقد كان الأنثربولوجيون فيما مضى، يصعب عليهم إلى حد بعيد، دراسة العديد من المواضيع المهمة، كالنقوش الأثرية، الزخارف، والتزيينات المعمارية، أشكال الحلى، أنواع الملابس، ولكن بتوفر الوسائل التكنولوجية الحديثة، صار ميسورا تصوير هذه العناصر، وإعادة ملاحظتها مرات عديدة، كما ساعدت آلات التسجيل المصور، التقاط الحوار كاملا وحيا في الوقت ذاته، حيث يساعد الباحث على ملاحظته كلما أراد، مما يزيد من دقة عملية التحليل، ورصد العناصر،

---

[3]: مُحَمَّد عبده محجوب: طرق ومناهج البحث السوسيوأنثربولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2005م.

والتفاصيل الدقيقة التي يصعب عن العين المجردة ملاحظتها. وأهم ما تنصح به جمعيات أخلاقيات البحث الحقلي الأنثربولوجي أن تستخدم هذه الوسائل، بطريقة أخلاقية، حيث تتماشى وقيم المجتمع. ومن أبرز هذه الوسائل الحديثة نذكر منها: آلة التسجيل، وآلة التصوير الفوتوغرافي، وآلة الكاميرا الفيلم الاثنوغرافي، وتوظيف الوسائط التكنولوجية الحديثة.